٦ ـ نقد رامي

للأستاذ دريني خشبة

لا نحسب أننا فرغنا من محاسن رامي حتى نخلص إلى معايبه ... إن كانت له معايب تُرى بقبله الجم ، وشاعريته الرقيقة ، وروحه الذي ظل للعالم العربي كله برداً وسلاماً وروحاً ونشوة أكثر من عشرين عاماً مباركاً يسكب في آذاننا شدو قلبه النابض ، وغناء وجدانه الفياض ، وأنات نفسه الجريحة الدامية

١ — وأول ما يلفت النظر في حياة رامي وإنتاجه الأدبي هو انصرافه العجيب المفاجئ عن قرض الشعر ، واقتصاره على توشية أغانيه المصرية الساحرة ، وذلك منذ أن دخلت في حياته الآنسة أم كلثوم ! . . . لماذا؟ لماذا يا ترى رضي الشاعر الإنساني أن يكون بلبلاً لحسب ؟ ! حقيقة إنه نظم ثلاثين أو أربعين أو خمسين مقطوعة . . . ولا نقول قصيدة . . . لكنها جميعاً من ذلك النوع الذي ذكرنا آنفاً أنه يصح تسميته (خطابات منظومة) كان الشاعر يضمّنها بعض بثه إلى المخلوق السعيد الذي أعاد الحياة إلى قلبه ، والإيمان إلى روحه ، وإن تكن حياة كلها شكوى وشك وغيرة ، وإن يكن إيماناً قلقاً مزعزعاً ينضح بالدموع والآلام

لقد ذكر رامي لصديقي الشاعر الذي سفر بيني وبينه تمهيداً لكتابة هذه الفصول أن لديه مجموعة كبيرة من الشعر الذي نظمه في خلال هذه الحقبة الطويلة من عمره ولم ينشره ؛ وقد حاولت أن أطلع على هذه المجموعة ولكني لم أشهدها لأن السفر أعجلني عن ذلك ... ومهما يكن من أمر هذه المجموعة ، فرامي مقصر ولا شك ، وثروة الشعر العربي لن تفتأ تطالبه بعشرة أجزاء من ديوانه الخالد الذي كان يصدره بمعدل جزء عن كل عامين ؛ ونحن لا نشك في أن إنتاجه الشعري قد أصبح قلة في جانب إنتاجه الغنائي ؛ وإن يكن قد أودع أغانيه كل ما كان يروع شعره من قطع قلبه وروحه ودموعه ... ويعزنا أن نسجل أن شعر رامي القليل الذي نظمه في الشطر الأخير من عمره المبارك (الطويل إن شاء الله) أحسن ديباجة وأرق نسجاً ، وأحفل بالموسيقا الداخلية من جميع شعره القديم الذي شملته دواوينه الثلاثة ؛ ونحن نعني بالموسيقا الداخلية ذلك التوافق الصوتي الجميل الخلاب ، الذي اكتسبه رامي بلا شك من طول اختلاطه بالموسيقيين والملحنين والمطربين ...

ولعل القطعة التالية التي شدا بها فؤاده من أجل ولده ، والتي تذكرنا في رامي بشاعر الإنسانية ، هي خير ما نقدمه دليلاً على استنتاجنا :

يا بُنيَّ ! ما أحَيْلى يا بُنَيَّ ... أنت ظل مده الله عليَّ
نعمة السمر وتذكار الصبى ... والأمانيُّ التي عزَّتْ لديَّ
لست أناساك جفيناً خافياً ... في ضمير الغيب أدعوك إليَّ
أتمناك لعيني قرة ... حين ألقاك وليداً في يديَّ
أرقب اليوم الذي تبسم لي ... وترى أي الرضى في مقلتيَّ
فأناجيك بألحان الهوى ... سابقات خاطري في شفتي
كلمات هي لا معنى لها ... غير أن تسمع مني أي شيَّ
فتراعيني ولا تقوى على ... غض أجفانك عني يا بُنيَّ !

وتشبه هذه القطعة في موسيقاها الداخلية قطعة (القمرية) المنشورة بعدها في مجموعة مكتبة النهضة (١٩٤٢)

إن رامي يستطيع فيما نعتقد أن يعدل في إنتاجه بين أغانيه المصرية وبين شعره هذا الجميل الرائع العذب ... ولولا أنني أوثر ألا أزلق إلى الخوض في قضية العربية والعامية الآن ، لأشرت على رامي بإيداع معانيه (البكر) ، التي لفتت نظر حافظ من قبل ، والتي ضمنها أغانيه المصرية ، حينما طفت هذه الأغاني على أشعار رامي ، . . . لأشرت عليه بإيداعها بعض قصائده ، ليكسب بها الشعر العربي ثروة ثمينة خالدة ... ولكن ... هل هذا مستطاع ؟ !

٢ — ولن نعرف الرحمة ولا (الذوق !) ونحن نأخذ على رامي جنايته على الغناء المصري ، أو الغناء العربي الحديث ، بتركه تلك الفرصة الذهبية النادرة التي أتاحها الله له ليجدد لنا غناءنا تجديداً كاملاً شاملاً ، ولتوسيع آفاق أغانينا بإدخال الأوبرا والأوبريت ، اللتين لا بد أنه يعرفهما معرفة جيدة ، وبزن الفائدة الجليلة البعيدة الأثر التي كانت تعود على الموسيقا

العربية — أقصد المصرية — والغناء المصرى ، لو أنه استغل هذا (التخت) العظيم الذى عاش أكثر من عشرين عاماً (يجتر) أغانيه ويرددها ويسندها ويبدئ ويعيد فيها ... لقد أساء رامى استغلال هذا (التخت) العظيم ، كما أساء استغلال دخول الآنسة أم كلثوم — فى حياته ، فلم يوجه فيها أغانينا التوجيه الصالح الواسع الأفق ، الذى يخرج بتلك الأغانى من « دنيا التخت » إلى دنيا المسرح ، وإلى دنيا الأوركسترا الراقصة الطروب اللعوب ... وقد يُعترض على هذا بأنه ليس من عمل الشاعر الذى ينظم لحساب غيره ... ونحن نرد على ذلك بأنه كلام لا يصح أن يعتذر به لرامى المثقف الذى يعرف من فنون الثقافة الشعرية الأوربية أزهى ألوانها وأبدع ضروبها ، ويعرف أن الأغنية التى ترسلها أم كلثوم على التخت ، غير تلك الأغنية ذاتها إذا أرسلتها وهى تؤدى دورها فى مأساة أو ملهاة أو درامة أخلاقية ، لأن الأغنية حينئذ يكون لها جمالها الخارجى الذى يضفيه عليها الموضوع ، لا جمالها الداخلى الذى تكسبه من ذاتها فحسب ... ورب معترض يقول إن رامى قد صنع هذا الذى نطالبه به فى أغنياته الكثيرة التى نظمها للأشرطة السينمائية الإثنى عشر التى طلب إليه نظم أغانيها كلها أو بعضها ... وأنه مؤلف « وداد ودنانير » ... ونحن نوافق على أن هذا صحيح وجميل ، إلا أنه شىء آخر غير الذى نطالب به رامياً ... إننا محرومون إلى اليوم من الرواية التمثيلية الغنائية الكاملة أو التى يصل أغانيها وكثيراً من حوارها النثر الخفيف ، وهذه الرواية التمثيلية الغنائية شىء عظيم بارع فى آداب أوربا وموسيقاها وهو غير موجود إطلاقاً فى أدبنا أو فى موسيقانا ... فمن من شعرائنا جميعاً — غير رامى — هيأ الله له تلك الفرصة الذهبية النادرة من حيث اتصاله بالموسيقيين والملحنين والمطربين ثم أساء استغلالها كما أساء استغلالها رامي ، فلم ينتفع بها فى إحداث تلك الثورة التى سوف تظل أغانينا ناقصة معيبة شوهاء ما لم يجرفها تيارها ، وما لم تحترق فى نارها فتخرج زكية سنية ذات روح وذات لألاء وذات جوهر نقى مُصَفّى

٣ — ولعل غلطة رامى فى ذلك — أنه قصر صداقته الفنية على أبطال موسيقيي (التخت) — وهم — مع إجلالنا لهم وإعجابنا بهم والإشادة بذكرهم فى غير مناسبة ، قوم أميون فى ثقافتهم الفنية ، فهم لا يفهمون ما الأوبرا وما الأوبريت ، ومن الخبال أن نطالبهم فى ذلك الميدان بشىء هو ضد طبائعهم ، وعكس سلائقهم الفنية ، التى لا تزيد كثيراً على تكرير الغناء وتسنيده أو التمهيد له — ولذلك فنحن نستحثهم أن ينتفعوا بفرصة معهد الموسيقا والغناء المسرحى ، فلا يدعوها تفلت منهم ، لأن فى إفلاتها القضاء عليهم ... وهذا موضوع آخر له حينه ومقامه إن شاء الله

نريد أن نعيب على رامى عدم انتفاعه بأحد ممن ثقفوا الموسيقا الغربية ومرنوا فيها ، بل برزوا فى التأليف بها ... والمؤلم أنه يعرف الكثيرين منهم ، وأن الكثيرين منهم يعرفونه . والرجل الذى تضعه المقادير فى المكان الذى يهيىء له القيام بثورة إصلاحية ثم ينكص على عقبيه ، فلا ينتهز الفرصة التى هيأتها له هذه المقادير هو رجل مقصر بلا ريب ، إن لم يكن شيئاً آخر لا نؤثر التعبير به

٤ — ونزيد فى أسفنا — بهذه المناسبة — إعراض رامى عن التأليف للمسرح فى دائرة اختصاص مواهبه الشعرية : ولعل الذين لا يعرفون ماضى رامى المسرحى يسألون : وما بال رامى ، وما بال مطالبته بشىء لم يدرسه ، أو لم يألفه ؟ فعلى هؤلاء أن يعلموا أن رامياً قد خدم الثقافة المسرحية فى مصر خدمة طيبة سيذكرها له الذاكرون دائماً ؛ فقد أخذ نفسه بترجمة مجموعة كبيرة من أشهر الروايات مثلت جميعاً على المسرح المصرى ، وخلبت ألباب نظارتها بجمال أسلوبها وحسن اختيارها ومرونة ترجمتها حتى تلائم المتوسط العام لجمهور مسرحنا ، ومن هذه الروايات هملت ويوليوس قيصر والعاصفة والنمر الصغير ، ويهوديت وفى سبيل التاج وجان دارك وشارلوت كورداى وسميراميس ... ومجرد ذكر أسماء هذه الروايات يذكرنا بماضيها المسرحى الناجح فى المسرح المصرى . ولست أدرى كيف يبلغ رامى هذه الدرجة من المجد الشعرى ، وكيف يبذل كل هذا المجهود فى دنيا المسرح ولا يفكر مطلقاً فى نظم الدرامة المسرحية ... ماذا نسمى هذا التقصير الذى يحدث هوة سحيقة فى مجد رامى ؟ وما سبب هذا التقصير يا ترى ؟ هل سببه أنه كان

يخضع لمقتضيات البيئة الفنية التي كان يعمل لحسابها ؟! تلك البيئة التي صرفته — أو أوشكت أن تصرفه — عن قول الشعر ، وعن التفكير في نظم الأوبرا أو الأوبريت ؛ لقد حاول رامي مرة أن ينظم الدرامة المسرحية ، وكانت محاولته جيدة ناجحة ، وذلك حينما نظم (غرام الشعراء) التي نشرها في « الرسالة » (على ما أذكر) ، والتي مثلتها إحدى الفرق المصرية ولا تزال محطة الإذاعة الحكومية تعيد إذاعتها بين الفينة والفينة . فماذا وقر في ذهن رامي بعد هذه المحاولة ؟

٥ — ومما يؤخذ على رامي أنه وقف بتجديده في الأغاني المصرية عند حد الابتعاد بها عن الابتذال القديم ، وتوسيع أفقها بتضمينها تصوير الطبيعة المصرية والإفاضة في تحليل العواطف الإنسانية مما أشرنا إليه من قبل ، ومما شكرناه لرامي الشكر الذي يستحقه ؛ وقد كنا نطمع من رامي أن يذهب في التجديد إلى أبعد من هذا الحد ، فكان يحاول مثلاً نظم الأغاني القصصية البارعة Ballads التي حُرم منها الشعر المصري الحديث ذلك الحرمان المزري المعيب ، فعسى أن يتحفنا الشاعر الذي عمر حياتنا بأعذب ألحانه وأرق أغانيه بهذا اللون المفقود في غنائنا المصري . . . القديم والحديث

٦ — كان رامي موفقاً في معظم أناشيده ... إلا أنها وا أسفاه جاءت كلها أناشيد غنائية يصعب على الجماعة أداؤها . وليس ذلك لطبيعة تلحينها كما يتبادر إلى الذهن أول الأمر ، ولكن لطبيعة تأليفها دخل كبير في ذلك ... ومن السخف أن نطالب رامي بنشيد قومي ... ولكن من الواجب أن نطالبه بأناشيد مصرية متنوعة يسجل فيها رامي بأسلوبه الساحر وتصويره الشاعر ونظمه العذب الدقيق : مصر الحديثة الناهضة ، مصر الفلاحة العاملة . مصر التي تذهب كل صباح إلى المكاتيب والمدارس والجامعات ... مصر المتضامنة التي تأبى أن تتخلف عن قافلة المدنية ... تلك القافلة التي جدبها المسير

٧ — أما لغة رامي ، وموسيقا شعره الخارجية ... أعني أوزانه وبحوره وقوافيه ... فالنقد الذي يعنى بالناحية الجدية يستحيي أن تقول فيها شيئاً ...

عاش رامي حياة طويلة طيبة ، تنبض بالحب في قلب مصر الحديثة ، وعاش لمصر والشرق يملأهما شدواً رخيماً وتجديداً ...

دمتي فخيرة

وزارة المعارف العمومية

منطقة شرق الدلتا الشمالية

إعلان مناقصة

تعلن منطقة شرق الدلتا الشمالية بالمنصورة إشهار مناقصة محلية عن تغذية تلاميذ المدارس الأولية والإلزامية والريفية بها عن السنة الدراسية ٤٤ — ١٩٤٥ م ويمكن الاطلاع على شروط التوريد بديوان المنطقة وبمكاتب تفتيش التعليم الأولى بدمياط وبورسعيد وعواصم المراكز والمدارس الأميرية بالمطرية والمنزلة وفارسكور

فعلى من يرغب في الدخول في هذه المناقصة عن المدارس التي بجهة واحدة أو بجهات متعددة أن يحصل على شروط التوريد من الجهات سالفة الذكر نظير مبلغ مائتي مليم للنسخة الواحدة على أن يقدم الطلب على ورقة دمغة من فئة الثلاثين مليما وإذا طلبها بالبريد فأجرة إرسال النسخة مائة مليم بالمسجل ويشترط ألا يغير في شيء مما جاء بها سواء أكان ذلك زيادة أو نقص علماً بأن آخر موعد لوصول العطاءات للمنطقة هو ظهر يوم السبت ٢ سبتمبر ١٩٤٤ وللمنطقة الحق في قبول أو رفض أي عطاء بدون ذكر الأسباب

٢٦١٤